

نظرية النمو النفسي الاجتماعي أريكسون (١٩٠٢-١٩٩٤)



مقدمة

تعرف هذه النظرية باسم نظرية" النمو النفسي الاجتماعي للعالم أريك أريكسون التي بناها على نتائج أبحاثه مع الأطفال والأسر عبر الثقافات المختلفة وبمنهج أنثروبولوجي. كما وتعد نظريته امتدادا لنظرية النمو النفسي عند فرويد إلا أن أريكسون يؤمن بأن تطور الإنسان يبقى مستمرا و لا يقتصر فقط على الخمس سنوات الأولى حسب رؤية فرويد ، و أن العوامل النفسية والاجتماعية لها تأثير واضح على حياة الفرد وليس كل ما يمر به الفرد ناتجا المراحل الجنسية التي يراها فرويد

الأفكار الأساسية لهذه النظرية :

- ١- تعتبر نظريته نظرية شاملة فهي النظرية الوحيدة التي درست النمو من الميلاد حتى آخر العمر ويعتبر السلوك ناجما عن ثلاث عوامل هي عوامل بيولوجية و عوامل اجتماعية بيئية و عوامل فردية ، وتتصارع هذه العوامل وبتفاعلها يحدث أزمة وبانتهاء الصراع يحدث النمو والنضج .
- ٢- يطلق علي نظرية اريكسون " النظرية النفسية الاجتماعية " في النمو حيث أنها تتناول الدوافع الحيوية والانفعالية وطرق التوفيق بينها وبين متطلبات البيئة الاجتماعية
- ٣- بني اريكسون نظريته على مبادئ التحليل النفسي كما قدمها فرويد و وازى اريكسون بين النمو النفسي والاجتماعي التي قدمها هو وبين مراحل النمو النفسي الجنسي التي قدمها فرويد .

٤- تناول اريكسون مراحل نمو الأنا وتكوين الشخصية على نسق نمو الجنين حيث يتوالى ظهور أعضاء معينة في أوقات معينة حتى يتكون الطفل كاملاً في النهاية وكذلك تنمو الشخصية فيسير نموها في تتابع ومراحل لتتكون في النهاية الشخصية ككل .

٥- يتتابع نمو الشخصية في ثمانية مراحل من الطفولة إلى الشيخوخة . وكل مرحلة تعتبر بمثابة نقطة تحول وتتضمن أزمة نمو نفسية اجتماعية يعبر عنها اتجاهان : أحدهما يتضمن خاصية مرغوبة والآخر يتضمن خطراً . فإذا اتجه النمو ناحية المرغوب فذلك خير ، وإذا اتجه نحو الخطر ظهرت مشكلات النمو

٦- يرى اريكسون بأن الفرد قادر على تطوير شخصيته خلال مراحل النمو المتلاحقة طيلة حياته ويعتقد بوجود فترات حرجية للنمو وهذه الفترات تتسم بنقاط تحول حاسمة. ويؤكد اريكسون أن الأزمة النفسية الاجتماعية يجب أن تحل قبل أن ينتقل الفرد بنجاح إلى المرحلة التالية . وقد شكلت المرحلة الخامسة من مراحل النمو وهي مرحلة المراهقة أساسا قويا في نظرية اريكسون لأنه يعتبرها جسر الانتقال من الطفولة إلى عالم الرشد والبلوغ .

مراحل النمو النفسي الاجتماعي:

(- المرحلة الأولى :الإحساس بالثقة مقابل الإحساس بعدم الثقة (من الولادة وحتى الشهر الثامن عشر):

يعتبر أريكسون أن السنة الأولى من عمر الطفل هي الفترة المناسبة لتوليد الثقة بنفسه وبالبيئة وذلك من خلال ثقته بالآخرين الذين يعتمد عليهم في قضاء حاجاته الأساسية المتنوعة ، و أنه إذا أشبعت خبرات الطفل منذ السنة الأولى في حياته فانه يطور الثقة ومن مظاهر الثقة في هذه المرحلة المبكرة سهولة الحصول علي الغذاء وعمق النوم والشعور بالارتياح بعد الإخراج ، ومن الجدير بالذكر أن الإحساس بالثقة هذا لا يعتمد علي كمية الطعام الذي يتناوله الطفل ولا علي إظهار المحبة له ، وإنما يتوقف علي نوع العلاقة بين الطفل والأم فالطفل يستقبل العالم المؤثرات الخارجية المحيطة به من خلال الأم وانفعالاتها ومن هنا تأتي أهمية وجود الأم في تكوين إدراك الطفل للعالم الخارجي في سنوات عمره الأولى .

المرحلة الثانية : الإحساس بالاستقلال الذاتي مقابل الإحساس بالخجل والشك (واحد ونصف عام حتى ثلاث أعوام) :

يعمل الطفل على تأكيد إحساسه بالاستقلال الذاتي وذلك بممارسة أنماط سلوكية و أداء بعض الأعمال بمفرده دون مساعدة الآخرين ويتبدى دور المربين في تعزيز نمو الاستقلال الذاتي لديه وذلك من خلال أساليب التنشئة الوالدية المتوازنة بين التسامح والحزم. وتغطي هذه المرحلة الفترة الممتدة بين السنة الثانية والثالثة من عمر الطفل وتتميز بتطور كبير في قدرة الطفل على التحكم بأعضاء جسمه وعضلاته فإذا نجح الطفل بهذا التحكم فإنه يكون قد طور شعورا بالاستقلال أما إذا فشل الطفل في التحكم بحركات جسمه المختلفة فإنه يطور شعورا بالخجل من نفسه والشك بقدراته مما يدفعه نحو الانطواء والعزلة.

المرحلة الثالثة: الإحساس بالمبادأة مقابل الإحساس بالذنب (من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات):
يمر الطفل في هذه المرحلة بخبرات كثيرة تتعلق بالقابلية للحركة والتحرك فيمشى ويجري ويقفز ، وترتقي اللغة والخيال ويتعلم أن يخطط وينفذ ، ويتحرك من خلال اتجاهات وأهداف . ويكون النمو النفسي في هذه المرحلة مرتكزا على إن الهو، والانا ، والانا الأعلى تبدأ في العثور على توازن متبادل في الفرد، وينمي الطفل ضميرا و اتجاهها والديا يقوي عمليات ملاحظة الذات وتوجيهها وكذلك عقابها

ويلاحظ الطفل الفروق الجنسية بين أفراد عائلته ويتعلم أن يقوم بأشياء أكثر من التي كان يقوم بها فيتولد لديه الشعور (بالإنجازات الحقيقية ويتعرض للحظات يتولد فيها الخوف من الخطر والإحساس بالذنب . ويجب على المربين السماح للطفل باكتشاف البيئة من حوله والتجريب لمعرفة كيف يسيطر على حركاته حيث أن الطفل يكون بحاجة إلى رفقة الأطفال الآخرين ليشاركوا جميعا بالتنفيس عن أزمات حياتهم باللعب ، ويجب توجيه الطفل بتجاوز أخطائه، أما إذا استمر المربون بإشعاره بخطئه فيما يفعل فعندها ينشأ وهو يشعر دائما بارتكاب ذنب يلزمه طيلة حياته .

المرحلة الرابعة : الشعور بالجهد والمواظبة مقابل الشعور بالنقص والدونية (من السنة السادسة حتى الحادي عشر).

في هذه المرحلة يستطيع الطفل أن يكيف نفسه لأداء العديد من المهارات والمهام وذلك بتطوير إحساسه بالعمل والكد والمثابرة ليصبح فردا قادرا على التحصيل والإنجاز الدراسي. وتعد الدراسة واللعب ركنان هامين في تكوين الإحساس بالشعور بالجهد . ويحب الطفل أن يجرب المهارات الأولية التي تتطلبها ثقافته . ويحاول الحصول على التقدير والاحترام من مدرسية ورفاقه ونجد مثابرته تتضمن تلك الانجازات التعليمية والمهارات الأخرى المطلوبة ليصبح في علاقاته الشخصية كفوا ومؤهلا للعطاء في عالمه الاجتماعي والطفل الذي يعجز عن التفاعل مع بيئته ويخفق في انجاز المهام الموكلة إليه تتطور لديه مشاعر الدونية والإحساس بالنقص . والطفل حسب وجهة نظر أريكسون هو القوة الدافعة والكبار في بيئته الذين يرعونهم يستطيعون أن يساعده في تقدمه أو يحبطوه .

المرحلة الخامسة : الإحساس بالهوية مقابل الإحساس بغير الهوية (من السنة الثانية عشر حتى الثامنة عشر)

تمتد هذه المرحلة طيلة فترة المراهقة ويتميز المراهق بالتأثر بالتغيرات الفسيولوجية والعقلية التي تثير الكثير من الشكوك لديه وبالتالي تولد لديه التردد في القيام بالمهام المناطة به ، والمراهق فاقد للهوية ، وهمه الأساسي هو الاعتراف بهويته بأنه أصبح رجلاً ولم يعد طفلاً ، فادا حصل على ذلك الاعتراف من الوسط الذي يعيش فيه فإنه يساعده على اجتياز الإحساس بالهوية بسلام ، وإذا شعر بأن المشرفين على تربيته ما زالوا يتعاملون معه وكأنه طفل ، فإنه سيحاول اللجوء إلى أساليب العنف لانتزاع هويته ، وقد تلازمه تلك الأساليب طيلة حياته . ويطلق على النمو في بداية مرحلة المراهقة "بزوبعة النمو" حيث أن هذه المرحلة هي أعنف ما يواجهه الإنسان في مراحل تطوره . فالجسد يعود ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ في الحجم والشكل علاوة على التغيرات الكيميائية

(الهرمونية) ، مما يسبب للشباب هزة في كيانه تجعله يفقد التعرف على نفسه فيسأل في إلحاح وبعمق " من أنا ؟ " ، وهنا تبرز مشكلة الهوية التي تكمن جوهر الصراع في هذه المرحلة في حياة الفرد. وتعد هذه المرحلة هي أشهر مراحل النمو النفسي وتتمثل أهميتها في كيفية الإجابة علي تساؤلات المراهقين مع الدمج الصحي للمراحل السابقة والحصول على الاستقلالية . إن الفشل في الإحساس بالهوية يؤدي إلى غموض الهوية وعدم القدرة علي اتخاذ القرارات والخيارات الشخصية في حياة الفرد.

المرحلة السادسة : الإحساس بالآلفة مقابل الإحساس
بالانعزال (من ١٨ - ٣٥ سنة):

ويرى أريكسون أن تحقيق النضج الجسمي للأفراد (الشباب البالغ) في هذه المرحلة يتضمن نموا نفسيا واجتماعيا مستمرا وخاصة الآلفة الاجتماعية مع الجنس الآخر تمهيدا لاختيار شريك الحياة في العلاقة الزوجية ، ليس هذا فقط بل أيضا تكريس الجهود للنجاح في الحياة الزوجية ، وأيضا اختيار المهنة المناسبة فإذا لم تشبع هذه الجهود في الزواج أو في اختيار العمل المناسب لقدرات الفرد أدى ذلك إلى أزمة نمو والإحساس بالانعزال في كل مجالات الحب والعمل

المرحلة السابعة : الإحساس بالتولدية مقابل الإحساس
باستغراق الذات (من ٣٥ سنة وحتى سن التقاعد):
توصف بأنها من أطول مراحل العمر وأكثرها خصوصية
وعطاء ، فبعد أن يمارس الإنسان اختياره في مجال الحب
والعمل يتزوج ويرسخ أساس الاستقرار الأسري ، ويختار
العمل الذي يستطيع من خلاله أن يحقق ذاته ويصل إلي
نقطة يسأل فيها وماذا بعد ؟ ، فهذه المرحلة تشتمل علي
تأسيس وحدة أسرية جديدة تقوم علي الثقة المبادلة والألفة
وإعداد منزل جديد للبدء بدورة جديدة للنمو ومن خلال
الرباط الزواجي يصلح الفرد لضمان الرعاية والنمو للجيل
الجديد الذي يثمر عنه الزواج.

- المرحلة الثامنة : الإحساس بالتكامل مقابل الإحساس باليأس (سنوات التقاعد حتى الممات):

هذه المرحلة هي خلاصة للمراحل السابقة وتوجهاتها ويجلس الفرد ليحاسب نفسه عما مضى ويتأكد من مساهمته في إنشاء الجيل الجديد وإذا كان دوره في ذلك ايجابيا فعندها يتولد لديه الإحساس بالتكامل أما إذا كان دوره فيما مضى سلبياً فعندها يتولد لديه الإحساس باليأس وفوات الفرصة للتعويض لأنه في نهاية العمر .

من خلال عرض المراحل النمائية يلاحظ أن هناك جانباً إيجابياً وجانباً سلبياً في كل مرحلة من مراحل نمو الفرد ، وتوفر ظروف ملائمة في مراحل عمره يجعل الإحساس الإيجابي يلزمه طيلة حياته ، أما إذا توافرت ظروف غير مناسبة فإن الإحساس السلبي في كل مراحل عمره هو الذي سوف يلزمه وبالتالي يؤثر على شخصيته.